فـواز تـركي

نص الغربـــة

في تلك الايام كانت بيروت لا تـزال اثرا لظل مـــن ماضينا الاستعماري . وداخل بطنها كان يعيش عدد لا يحصى من النفوس المحرومة من حقوقها الطبيعية والانسانية وهي من عالم الفقراء والعاجزين وعديمي الجنسية . وكانوا يتدفقون الى الشوارع طوال النهار وطوال الليل ، كل يوم وكل ليلة من ايام السنة ولياليها ، في نوع من المشاركة المعقدة مع مدينة طال جنونها من اختبارها الاستعماري وحدة اله . وكان بائعو بطاقات اليانصيب يطوفون في شوارعها ويصرخون بالامهم الى السماء ، تماما كما يفعل بائعو العلكة وماسحو الاحذية وتجار السوق السوداء والقوادون والمتسولون والاحداث الذين لم يتجاوزوا الثانية عشرة بعد ، وجميعهم يمتصون شقاءهم كأنه القلب النابض لاحد الأكوان . وكان الفقراء يضربون الفقراء ، والعاجزون يدفعون العاجزين، وعديمو الجنسية ينخسون عديمي الجنسية . وكأبناء اية مدينة اخرى من مدن العالم الثالث ، كانوا يخدشون باصابع عتيقة وينفسون عن عدوانهم ضد بعضهم البعض ويتنافسون على ملكية الشوارع وعلى عالم لا وجودهم المشوه . وفي لحظة بشعة من الوقت المتزامن ، تعايش مع هذا العالم ، وعلى مسافة صرخة ألم مهموسة منه ، العالم الآخر للاثرياء والاقوياء والدولة . ومدفوعا بالعواطف المستوردة والاحتياجات الغربيـة المتنافرة ، قام هذا العالم بعيدا عن الحياة ، بعيدا عن لبنان . ولم يكن لواقعه واقع ، فيما عدا واقع تغذية الغيظ الذي صار فيما بعد اكثر عنفا من ان تحتويه حدود البلد الصغير .

وربما لم يعرف الأسياد والحكام المطلقون ، المحليون والاستعماريون ، الذين كانوا قد اعادوا تجميع الواقع السياسي والاقتصادي للبنان استجابة لمصالحهم ، ان بيروت ، والبلد الذي هي عاصمته ، لا يمكن ان تبقى الى اجل غير محدود موطنا لقوتين تتعارض احداهما ديالكتيكيا الى هذا الحد مع الاخرى . او ربما كانوا يعرفون لا يستطيع احد التأكد من ذلك .

اطوف في شوارع المدينة اليوم ، في شتاء ١٩٧٩ ، باحثا عن بقايا ضئيلة لكسرة او كسرتين قد اكون تركتها ورائي لعشرين سنة خلت . وتحت الاطلال لا ارى الا الوهم الساذج لماضي المدينة .

ومع هذا فههنا نشأت ، في الشوارع ، مع جيل من الفلسطينيين الذين كانوا مجرد اطفال